المستغيث بإيضاح كلياته وجزئياته صلاة وسلاما دائمين بدوام نعم
الله تعالى على خواصه وأهل طاعاته وبعد فمما يتعين على كل مكلف
أن يعتقد أن كمالات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا تحصى وأن أحواله
وصفاته وشمائله لا تستقصى وأن خصائصه ومعجزاته لم تجتمع
قط في مخلوق وأن حقه على الكمل فضلا عن غيرهم أعظم
الحقوق وأنه لا يقوم ببعض ذلك الأمر بذل وسعه في إجلاله وتو
قيره وإعظامه واستجلاء مناقبه ومآثره وحكمه وأحكامه
وأن المادحين لجنابه العلي والواصفين لكماله الجلي لم يصلوا
إلى قل من كل لا حد لنهايته وغيض من فيض لا وصول إلى غايته
ومن ثم كان أبلغ بيت هذا المطلع الآتي كما يعلم مما يأتي فيه
وفي بردة المديح

ثم يليه

فإن فضل رسول الله ليس له ... حد فيعرب عنه ناطق بفم

ثم يليه

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم

ثم يليه

فاق النبيين في خلق وفي خلق ... ولم يدانوه في علم ولا كرم

فهم مقصرون عما هنالك قاصرون عن أدائه كلما يتعين من ذلك كيف
وإن الكتاب مفصحة عن علاه بما يبهر العقول ومصرحة من كل صفاته
بما لا يستطاع إليه الوصول وقد قيل

ماذا عسى الشعراء اليوم تمدحه ... من بعد ما مدحت حم تنزيل

فيعلم

فيعلم أنه لو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن
استقصاء ما حباه مولاه الكريم من مواهبه ولكان المسلم بساحل
بحرها مقصرا عن حصر بعض بحرها ولقد صح لمحبيه أن ينشدوا فيه

وعلى تفنن واصفيه بحسنه ... يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وإنه لخليق بقول القائل

فما بلغت كف امرئ متناولا ... من المجد إلا والذي نال أطول
ولا بلغ المهدون في القول مدحة ... ولو حذفوا إلا الذي فيك أفضل

ولابن خطيب الأندلسي

مدحتك آيات الكتاب فما عسى ... يثني على علياك نظم مديحي
وإذا كتاب الله أثنى مفصحا ... كان القصور قصار كل فصيح

وقد رئي العارف المحقق السراج بن الفارض السعدي رضي الله عنه
في النوم فقيل له لم لا مدحت النبي صلى الله عليه وسلم أي بالتصريح
وإلا فقصائده في الحقيقة إنما هي في الحضرة الإلهية أو فيه صلى الله
عليه وسلم فقال

أرى كل مدح في النبي مقصرا ... وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذي هو أهله ... عليه فما مقدار ما يمدح الورى

قال البدر الزركشي ولهذا لم تتعاط فحول الشعراء المتقدمين
كأبي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم وكان
مدحه عندهم من أصعب ما يحاولونه وإن جلت دون مرتبته والأوصاف

بأن المعاني

Copyright © King Saud University